العدد (2137) السنة الثامنة - الاحد (22) أيار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

مندائيون على نهر دجلة

في منطقة جزيرة الاعراس وعلى ضفاف نهر دجلة الخير كانت الجموع المحتفلة من الطائفة المندائية بعيد التعميد الذهبي (دهفة ديمانة) تمارس طقوسها الدينية في ذكرى تعميد النبي يحيى التي جرت في نهر الاردن قبل الاف السنين . ابناء الطائفة يحتفلون بهذه الذكرى كل عام وهم يتطلعون الى اعادة الاستقرار في العراق يجنبهم خيار الغربة والهروب خارج الوطن بعيداً عن شبح الارهاب ، الذي استهدف كل العراقيين وضمن مخطط خبيث لافراغ العراق من مكوناته . المهم ان المندائيين يعتبرون هذا العيد عيدا قوميا ودينيا ، وهو واحد من اربعة اعياد يحتفل بها ابناء الطائفة الذين يعتبرون اول الموحدين منذ زمن نبينا الكريم ادم ابو البشرية..

مع احتفالهم بعيد (الدهفة ديمانه)

المندائيون محتارون بين الهروب خارج الوطن او التمسك بالأرض ومجابهة الإرهاب

□ بغداد / سها الشيخلي
عدسة / ادهم يوسف

جزيرة الاعراس

من تلك الجزيرة الساحرة المطلة على نهر دجلة الخير كانت لنا هذه الوقفة لنقل احتفالات ابناء الطائفة المندائية حيث التقينا شيخ الطائفة ستار الحلو الذي كان يرتدي الزي الديني الابيض المكون من خمس قطع بيضاء وهو يردد بوثا خاصة (سورة) من كتاب كنزا ربى (الكتاب المقدس) للطائفة و يقول : (باسم الهي العظيم انا (...) صبائتي بالنبي ابراهيم الكبير ، ان تزكيني وتصعدني الى العلا) ويشرح لنا الشيخ الحلو طريقة التعميد وهي ان يغطس المصلي بالماء ثلاث مرات ،بحيث يمر من على الراس ، على ان يكون المتعمد نظيفا جسديا وروحيا ، ثم يمسح جسم المتعمد بزيت السمسم المقدس وهو شعار الاديان القديمة . وعن بعض تاريخ الطائفة حدثنا قائلاً :

– تسكن الطائفة المندائية في بغداد وفي المنطقة الجنوبية من العراق وحيثما وجدت الانهار لان طقوسهم تعتمد على مياه الانهار الجارية ، وهم من اقدم الاقوام الموحدة التي سكنت العراق ولغتهم المندائية من اللغات السامية وتعود الى اللغة الارامية الام ، مشيراً الى ان عدد الطائفة لا يمكن تحديده فهو لم يتجاوز بعد المليون ونصف، وان غالبية الصابئة المندائيين يمتهنون مهنة الصياغة لانها تحتاج الى الدقة والصبر الى جانب الفن ، وهذا لا يعني عدم بروز العلماء والشعراء والمثقفين من ابناء هذه الطائفة .

– اما عن الحياة الاجتماعية التي يعيشها ابناء الطائفة فقد اكد الشيخ الحلو انهم يعيشون بسلام واطمئنان مع اخوتهم من باقي الاديان والقوميات التي تشكل نسيج الطيف العراقي الذي بدونه لا يمكن ان يكون هذا الشعب الذي نطلق عليه بشعب وادي الرافدين ، وكان وهو يحدثنا يمسك بغصن من ورق الياس الاخضر ، وعندما سالناه عن اهمية تلك الاغصان التي يحرص المتعمدون على رفعها والغطس بها اشار الى ان هذه الاغصان تعني السلام والمحبة وعودة الروح الى الجسم ، انها تعني الحياة بكل الوانها ومباهجها .

وكانت اقراص من الطين المجفف المخلوط ب(التبن) وهي بمختلف الاحجام تتناثر بين الجموع على الدكات وقد وضع عليها قطع (فردة) التمر المغطى بمادة السمسم وكذلك السكر التي قالت عنها احدى السيدات التي كانت ترتدي ملابس التعميد الخاصة اننا نقوم بوضع الطعام على هذه الاقراص المصنوعة من الطين المفخور الذي يسمى (طريانة) اوهي اشبه بال(صينية) وهي مستخدمة منذ زمن النبي يحيى عليه السلام .

ويستعرض الشيخ انمار عودة مهاوي الذي يحمل درجة (تلميذ) وهي اولى الدرجات في سلم المشيخة للطائفة وهو طالب في كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية / فرع التاريخ وعمره ٢٣ سنة وهو اصغر المشايخ التي حضرت الى جزيرة الاعراس التي تقام فيها هذه الطقوس ، الاعياد الخاصة وهي اربعة:

– عيد الخليقة ويسمى ايضا بعيد الكرصة حيث يبقى ابناء الطائفة في بيوتهم لا يبرحونها لمدة خمسة ايام وهي المدة التي خلق الله بها الارض بعد الطوفان

– عيد التعميد الذهبي ومدته يوم واحد ويكون في العادة عطلة رسمية لجميع ابناء الطائفة

– العيد الكبير

– العيد الصغير

ويوضح ان التقويم المعتمد للطائفة هو التقويم الشرقي والسنة تبدأ في شهر شباط حسب التقويم المندائي الموافق شهر تموز وفق التقويم العربي ، وان عدد ايام السنة ٣٦٠ يوما مطروح منها مدة عيد (الكرصة) البالغة خمسة ايام اذ ان هذه الايام الخمسة غير محسوبة من عمر الفرد المندائي . وعن عيد التعميد الذهبي يشير الشيخ انمار الى انه يتوجب على الشخص المندائي ان يزاوله بعد شهر من عمره الى نهاية عمر الفرد ، على ان يقوم به كلما استطاع الى ذلك سبيلا ، وهو احياء ذكرى تعميد السيد المسيح من قبل يوحنا المعمدان ، وتاتي اهمية التعميد كون الفرد قد انتمى الى الديانة المندائية واصبح فردا صالحا فيها فالتعميد يعني اعتراف بوحدانية الخالق ومزاولة الصلاة الواجبة وهي ثلاث مرات في اليوم ، ودفع الصدقة و الزكاة .

معاناة الغربة وأسبابها

رغم ان الاخوة المندائيين قد جاء ذكرهم في بنود و فقرات شريعة حمورابي القديمة الا ان عددهم ما زال قليلا بالقياس الى عدد الطوائف الاخرى في بلاد وادي الرافدين ، وقد حدد احد مشايخ الطائفة الذي رفض ذكر اسمه السبب فقال :

سبب قلة عددنا هو ان الزواج منحصر بالطائفة فقط ، كما ان لدينا شروطا وقيودا كبيرة في ديانتنا تمنع التكاثر وتحد من الانتشار ، ويتحدث بالم عن ما تعرض له ابناء الطائفة من عمليات ارهابية خاصة الصاغة منهم، لذا فهم يشعرون بعدم الارتياح بل ان حالة القلق هي السائدة بسبب استهدافهم من عصابات الارهاب ، لذا فقد هاجر عدد كبير منهم وبالاخص الصاغة الى ارض الله الواسعة وتشهد قارة استراليا تواجد الكثير من المغتربين من ابناء الطائفة وتاتي المانيا بالدرجة الثانية ثم السويد .

ويشير الشيخ الى ان الهجرة قد بدأت منذ حروب صدام وليس فقط الان ، لكنها الان زادت إثر الاحداث الاخيرة التي شهدها ابناء الطائفة والتي كان اخرها استهداف الصاغة في منطقة القاهرة في قضاء الاعظمية ،حيث قتل عدد من الصاغة هناك ، وما زال ابناء الطائفة غير مستقرين في بلدهم العراق ، مع ان الغربة قاسية حيث اعتاد المندائيون العيش على ضفاف الانهار وهذا غير متوفر في الدول الاوربية الا ما ندر .

سعدي الحلو المغترب في المانيا جاء من اجل التعميد في هذا العيد يقول: اعمل صائغا وقد غادرت العراق قبل ثلاث سنوات مرغما لان الظرف الامني غير مستتب ، وافضل العودة النهائية الى بلدي العراق . وعن عمله يقول انه يعمل صائغا ويرى ان هذه المهنة تهدد حياة الطائفة لذلك فقد هجرها الغالبية ، كما هاجر البعض الاخر من الصاغة المشهورين في بغداد العاصمة بعد ان تم استهدافهم ، ويجد الحلو ان الارهاب لا يفرق بين الطوائف والاديان فقد عانى من ارهاب كل الطوائف بما فيها المسلمين ، لكن بسبب كونهم قلة فقد وجدوا انفسهم مضطرين للهرب الى الخارج.

احدى المندائيات كانت ترتدي الملابس البيضاء الخاصة بالتعميد وكانت قد خرجت توا من نهر دجلة سالناها هل ترى ان ماء النهر نظيف بما فيه الكفاية (كان ماء النهر متسخا وقد كانت بعض الاوساخ ما زالت طافية فيه) اشارت الى ان الغطس في الماء ما هو الا طقس من طقوس الدين الصابئي المندائي . و اضافت السيدة وهي تخشى ذكر اسمها انها معلمة وغير متزوجة وانها الوحيدة الباقية من اهلها بعد ان هاجر الجميع الى السويد ، لكنها تحب بلدها العراق ولا تريد ان تغادره، فالغربة على حد قولها قاسية . في العيد التقينا بعض النساء وبأياديهن (ملزمة) كتب فيها كلام غير عربي وبلغة مندائية قالت احداهن انه بعض من كتاب (كنزا ربا) الكنز العظيم الذي يعود تاريخه الى عهد النبي ادم وفيه بعض من تعاليم نبي البشرية النبي ادم عليه السلام الذي تجله وتحترمه كل الاديان السماوية وتنحصر تعاليمه في تكريس الفضيلة والصدق والعمل الشريف الذي يرضي الله ،الى جانب عدم الاشراك به ، وقالت السيدة انها قادمة من دمشق بعد هجرة قسرية بسبب الظروف الامنية التي تشهدها البلاد ، وقالت سيدة اخرى انها تسكن عمان بعد ان غادرته هي وزوجها واطفالها الاربعة بعد مقتل الصاغة في الطوبجي ، ذلك لان زوجها صائغ هو الاخر، لذلك يخشى العودة وقد غادروا بغداد قبل ثلاث سنوات ويسعون الان لتدبير امر العودة مجددا بعد ان سمعوا بتحسن الوضع الامني . سيدة اخرى كانت قد هاجرت هي الاخرى الى السويد سألتني عما اذا انصحها بالعودة الى وطنها العراق ، وقد مسحت السيدة بردائها الابيض دمعة حملت حزنها لفراق الوطن ، وهي تقول (انتم الصحافة اكثر الناس معرفة بامور الامن ، هل تنصحيني بالعودة) ، وقفت حائرة عن اجابتها ونصحها وهي التي تعيش في السويد ، لكن النساء اللواتي وجدن الصعوبة في ذكر اسمائهن اجمعن على انه رغم الخوف من الارهاب فان الغربة امر لا يحتمل وانهم جميعا مرغمون على ترك العراق بعد الاحتقان الطائفي الذي نال من الجميع بدون استثناء ويظل الجواب والنصيحة حائرة تبحث لها عن شيء حقيقي ،لا تضليل فيه ولا مبالغة لكني مثلهن لا املك الا الدعاء بعودة الطمأنينة الى القلوب الخائفة الوجلة وان يعم السلام مدينة السلام ، انها امنيات هللت لها النسوة الباحثات عن الجواب الشافي ..

وختاما غادرنا ضفاف دجلة الخير وتلك الطقوس التي نقلتنا الى حقب تاريخية موغلة في القدم ، مع مكون اساسي من ابناء الطائفة المندائية فهم سكنة العراق القديم منذ عهد النبي ابراهيم الخليل الذي عاش في العهد السومري في بلاد ما بين النهرين وفي مدينة اور بالذات مهبط الالهام الاول ومنبع الحضارات.

فرص الحصول على العمل ستكون أصعب في الأعوام المقبلة!

حملة الشهادات.. كفاحٌ يومي لكسب الرزق الحلال على أرصفة الشوارع!

□ رشيد العزاوي

في عموم محافظات العراق..وفي بغداد ((العاصمة)) بالذات تجد ارصفة الشوارع والطرقات قد تحولت الى اسواق شعبية ، رغم الجدران الاسمنتية التي زرعت من حولها .. حيث تجد باعة هنا وهناك بينهم اعداد كبيرة من حملة الشهادات العليا من الذين لم يستطيعوا الحصول على وظائف حكومية .. هؤلاء الخريجيون كان يمكن ان يكونوا أساتذة او موظفين او مهندسين وفنيين في مشاريع بحد ذاتها لو ان هنالك ستراتيجية اقتصادية صحيحة تعينهم على كسب لقمة العيش في بلد عمت الفوضى نظامه الاقتصادي .. شباب وجدوا انفسهم مضطرين للجوء الى الشارع وبذل جهوداً شاقة لايحصدون منها الا القليل من الرزق الحلال ..

لم يعد يصدق الكثير من العراقيين وعود الحكومة بالنهوض بالأقتصاد الوطني .. مع ان ميزانية الدولة تجاوزت الضعف عما كانت عليه في السنوات السابقة .. لذا خرجوا محتجين في تظاهرات شعبية من اجل الاصلاح. قد يكون الموضوع مطروقاً لاكثر من مرة ، لكن من المهم اثارته بين فترة واخرى وتسليط الاضواء عليه ، كونه صار ظاهرة لابد من وضع المعالجات لها.

(المدى) تجولت بين باعة الارصفة في العديد من مناطق بغداد واسواقها التجارية لتثبيت حالة سلبية تتمثل في ان العديد من هؤلاء الباعة هم خريجو كليات الذين باتت اعدادهم تزداد .. وان بعضهم يحمل شهادات عليا الا انهم لن يتمكنوا من الحصول على فرصة عمل كونهم لايمتلكون العدد الكافي من (الوريقات الخضر) التي يبدو انها جواز المرور الناجح للراغبين في التعيين في دوائر الدولة ! رغم التصريحات بمحاربة الفساد والمفسدين .

أول المتحدثين كان محمد سعد الله (٣٥) عاماً الذي قال: انه تخرج من كلية التربية قبل اكثر من عشرة اعوام وبعد احداث عام ٢٠٠٣ اغلق المعهد الذي كان يعمل فيه محاضراً ، فتحول الى بائع للعب الاطفال . واضاف وهو يقف وراء طاولته حاولت ولاكثر من مرة الحصول على وظيفة في وزارة التربية ولكن دون جدوى وآمل هذه المرة ان احصل على تلك الوظيفة (الحلم) بعد ان اعلنت وزارة التربية حاجتها الى الكوادر التدريسية باختصاص اللغة العربية والاختصاصات الأخرى .

واوضح الرجل الذي كان يرتدي ملابس متواضعة مكتفياً بذكر اسمه الاول فقط (عصام) وهو يعمل مهندس حاسوب في ورشة مساحتها لا تتجاوز الـ (ستة أمتار) مربعة وقد أستأجرها لتصليح اجهزة الحاسوب في شارع الصناعة القريب عن الجامعة التكنولوجية قائلا: ان الظروف الاقتصادية التي يمر بها غالبية الشباب الخريجين قاسية جداً فانا اعمل لاكثر من ثماني ساعات يومياً لاضمن حياتي واساعد اخوتي . ويضيف المهندس عصام وهو يتوسط اجهزة مجزأة واخرى تنتظر دورها للتصليح لم احصل على وظيفة حكومية رغم محاولاتي المتكررة، وقد ارغمت قبل اشهر على دفع مبلغ (١٥٠٠) دولار لشخص وعدني بتسهيل مهمة حصولي على وظيفة حكومية ولكن الوعد والمبلغ ذهبا ادراج الرياح !

ويؤكد الرسام مازن بدري (٣٢)عاماً وهو أحد خريجي كلية الفنون الجميلة أنه ومنذ أكثر من ست سنوات يتنقل بحقيبته التي وضع فيها فرش الرسم والالوان .. يتنقل من مكان الى آخر بحثاً عن فرصة عملٍ لإعالة والدته وأطفاله ولكن دون جدوى مضيفاً أنه ومجموعة من العاطلين كانوا قد سجلوا أسماءهم لدى مركز التشغيل والتدريب المهني التابع لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية والجميع كان يبحث عن فرصة عمل في أحدى الوزارات أو القطاع الخاص غير ان كل تلك الامال ضاعت سدا فالوظائف الشاغرة التي يعلن عنها المركز لاتوفر فرص العمل الا للاقارب و(الحبايب) متناسين عباد الله الاخرين والدليل على ذلك مضي اشهر عديدة على تسجيل الاسماء في سجلات المركز الذي لم نحصد منه سوى الوعود اذ اصبحت فرصة الحصول على عمل هي اقرب منها الى الوهم على الرغم من المراجعات المستمرة والوعود الكاذبة المتكررة !

ويقول رأفت عبد الكريم البياتي احد خريجي كلية التربية الرياضية للعام الدراسي ٢٠٠٧ ان الخريجين الجدد لايحصلون على التعيينات بسهولة من دون اللجوء الى "واسطة" لتسهيل إجراءات معينة تسبق عملية تقديم اوراق التعيين الى اية جهة حكومية فقد اعتدنا ان نلجأ الى التعيينات الحكومية بفارغ الصبر في ظل غياب المشاريع الكبيرة التي يمكن ان تقوم بها الشركات العربية او الاجنبية ، لذا لانملك الا ان نتوسل الطرق للحصول على درجة وظيفية وتقديم الاثباتات والشهادات والاوراق علنا للفوز بوظيفة معينة رغم إن تجربتنا مرة في هذا المجال حيث ان التعيينات في الحكومة غالبا ما تذهب الى اقرباء الوزير او المدير العام وابناء عمومتهم وخالاتهم وأشقائهم ، بغض النظرعن شهادتهم ومؤهلاتهم ... اما العاطلون المأهلون فيعودون خالي الوفاض بانتظار اطلاق الوظائف مجددا.. انتظار ممل وطويل غالبا ما يستغرق عاما او أكثر ..

واضاف:.لقد باتت قضية البطالة من اهم التحديات التي تواجه الاوساط السياسية ، لاسيما أن غالبية الحلول المطروحة لن تتمكن من انهاء المشكلة بشكل كامل مع تزايد عدد العاطلين عن العمل واعلان منظمات المجتمع المدني .. عن احصاءات سنوية تفوق تلك التي تعلنها الحكومة بكثير .. ومع كل هذا وذاك سنبقى بانتظار بارقة الامل في الحصول على استحقاقنا لوظيفة نرتب من خلالها مستحقات ومتطلبات حياتنا اليومية .

وعلى رصيف شارع الجمهورية عند سوق الشورجة .. وسط بغداد يقف ضابط سابق في الجيش فضل عدم كشف هويته ورتبته العسكرية يقف وراء طاولة الحلويات يراقب المارة بنظرات يائسة .. قائلا: إن الحديث عن العمل الحكومي من جديد أمر عقيم ،مؤكدا ان الحياة علمتنا ان العمل شرف مهما اختلف نوعه وطبيعته ، ويتجنب عدد كبير من منتسبي الجيش العراقي السابق الالتحاق بقوات الأمن وبالمقرات العسكرية خوفا من العنف الطائفي .. فيما يفضل آخرون العمل كسائقي سيارات اجرة..

أما الموظف حسن محمد علي احد خريجي كلية العلوم السياسية للعام الدراسي ٢٠٠٦ فقد اكتفى بالقول: إن إمكانية الحصول على وظيفة ليس بالامر السهل فالوظائف غالبا ما تقتصر على المسؤولين واقاربهم ومعارفهم والمقربين اليهم..!!

ويقول رعد حسين احد الخريجين الذين ينتظرون فرصة للتعيين منذ تخرجه قبل خمس سنوات ، انه بات نادما على السنوات التي اضاعها من عمره في الدراسة ليجد نفسه عاملاً في مسطر للعمل مثلما يفعل الاميون او غير المتعلمين.

الان بعد كل ما قاله المواطنون ماذا يقول خبراء التخطيط والاقتصاد حول الموضوع؟

لا تمتلك العديد من منظمات المجتمع المدني احصائيات دقيقة حول موضوع البطالة في العراق، بينما يشير المتوفر منها الى ان نسبتهم تنحصر بين ٢٥ الى ٣٥٪ حسب المصادر وافادت دراسة اعدها برنامج الامم المتحدة الانمائي ووزارة التخطيط العراقية ان ثلث العراقيين يعيشون في حالة من الفقر بينهم ٥٪ يعيشون في فقر مدقع، وأكدوا ان مؤشرات العمالة الناقصة في العراق مازالت مرتفعة ووصلت الى ٣٠٪ من العاملين الذين يعملون ساعات اقل من المقرر لهم في الوظائف الحكومية بينما يؤكد خبراء اقتصاد عراقيون ان فرص الحصول على العمل ستكون اصعب بكثير في الاعوام المقبلة في حال لم يتم وضع خطط حكومية لتفعيل عمل المؤسسات الخاصة وتشجيع الاستثمار الاجنبي لتتمكن الحكومة من استيعاب الايدي العاملة في العراق مع وضع شروط خاصة لشركات الاستثمار الاجنبية تلزمها بأولوية تشغيل العراقيين لمنع تلك الشركات من استقدام العمالة الاجنبية الرخيصة.

نقول: ان الكثير من الخريجين يتقدمون إلى وظائف لا علاقة لها باختصاصاتهم مثل الجيش والشرطة ويعتبرونها فرصاً بديلة عن تلك الوظائف لكنهم قلما يوفقون في الحصول عليها أيضاً لانها غالباً ما تطلق لسد نقص بسيط في اعداد القوات الامنية ، وهذه المؤسسات لا تستوعب سوى ٥-٦ ٪ من اعداد المتقدمين في احسن الاحوال وهي أيضاً لاتختلف عن الفرص الاخرى بما تستلزمه من تحرك ووساطة تضطر الكثير منهم الى دفع الرشاوى وهي باعتقاد الغالبية العظمى من المواطنين جواز المرور الوحيد للحصول على الوظيفة..!!

وزارة العمل والتجربة "النموذج" في القضاء على البطالة!

في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية امتنع مصدر رفض الكشف عن اسمه ، عن التعقيب حول موضوع ظاهرة البطالة في العراق بسبب الانتقادات الشديدة والقاسية التي اطلقتها شخصيات من الكتل البرلمانية المختلفة لاعلان وزير العمل نصار الربيعي عن عرض تجربة العراق (النموذج) في معالجة البطالة بمؤتمر وزراء العمل العرب الذي عقد في القاهرة والذي قال في تصريح نقلته وكالة اكانيوز(ان العراق سيعرض تجربته خلال هذا الاجتماع في طريقة الرعاية الاجتماعية المتميزة للعمال وكيفية الاستفادة من الطاقات الشبابية من خلال تشغيل الشباب ومنحهم القروض واقامة المشاريع الصغيرة والمتوسطة وفتح مكاتب للتشغيل والخدمات وغيرها من المشاريع).

اخيراً نحن ايضاً نتساءل: أية تجربة هذه ؟ وكيف تمت عملية تشغيل الشباب ؟ واين القروض التي منحت ؟ وما هي المشاريع التي افتتحت ؟ ولمن تقدم مكاتب التشغيل خدماتها ؟ نحن واثقون ان خارطة البطالة في العراق ستبقى مبهمة وغير واضحة المعالم في ما يخص نسبة العاطلين عن العمل وتنوع اشكالها والوانها وستبقى الدرجات الوظيفية التي اعلنت عنها الحكومة ضمن موازنة عام ٢٠١١ غير كافية للقضاء على البطالة .. هذه الافة البغيضة القاتلة !

معاناة الشباب على الارصفة؟